

المحاضرة الثالثة والعشرون

ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفَىٰ مِنْ الَّذِينَ لِأَحْيَاةٍ  
لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُخْتَجِينَ وَالْبُؤْسَىٰ وَالزَّمَنَىٰ فَإِنَّ  
فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُخْتَرًا وَآخِظًا لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَلَكَ  
مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ  
وَقِسْمًا مِنْ غَلَابِ صُوفِيٍّ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَإِنَّ لَكَ قِسْمَ  
مِنْهُمْ مِنْكَ الَّذِي لِلذَّنْبِ وَكُلٌّ قَدْ اسْتَرْجَعَتْ حَقُّهُ فَلَا  
يَسْخَلُكَ عَنْهُمْ نَهْرٌ فَإِنَّكَ لَا تَخْتَذِرُ بِتَضْيِيعِ النَّافَةِ  
لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهْمِ فَلَا تُسْخِمْ كَهْمَكَ عَنْهُمْ  
وَلَا تَمَعِّرْ خَدَكَ لَهُمْ .

معاني المفردات:

- ١- البؤسى: من البؤس وهو شدة الفقر
- ٢- الزمنى: بفتح أوله، أولوا الزمانة جمع زمين وهم أرباب العاهات كأصحاب الفالج
- ٣- القانع: السائل
- ٤- المعتز: بتشديد الراء، المتعرض للعتاء بلا سؤال
- ٥- الصوافي: هي الأرض التي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب
- ٦- البطر: طغيان النعمة
- ٧- التافه: القليل
- ٨- صعر خده: تكبر عليهم

## شرح النص

(ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقِ السُّفْلَى) اذكر الله الله في الطبقة السفلى أي اخش الله في التعامل معهم، وكلمة -السفلى- التي أطلقها الإمام ع لا تختزل أي مضمون مسيء لهذه الطبقة إذ عبر عليه السلام بالسفلى بلحاظ درجة إنتاجها فالسفل مقابل العلو في العمل والجهد وإلا فحاشا لأمير المؤمنين ع أن يعبر عنها لإهانتها، وهي أكثر الطبقات ذكراً في عهد مالك الأشتر والتي منعت أمير المؤمنين ع من النوم ومما ينسب له عليه السلام:

مَا إِنْ تَأَوَّهْتُ مِنْ شَيْءٍ رَزَنْتُ بِهِ كَمَا تَأَوَّهْتُ لِلْإِيْتَامِ فِي الصِّغَرِ

- الطبقة السفلى في العهد:

١- (ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ فِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ) السيد محمد تقي النقوي قدس سره: أهل الحاجة والمسكنة هم الفقراء والمساكين. السيد جعفر مرتضى العاملى في كتابه عهد الأشتر، مضامين ودلالات: أهل الحاجة من لهم عملاً لكن لا يسد حاجتهم، والمسكنة من أقددهم الهرم أو المرض أو الإعاقة العقلية والجسدية. رفقهم ومعونتهم: مساعدتهم وصلاتهم، رَفَدَ: دعم بصلة أو عطاء.

٢- (وَاجْعَلْ لِدَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا تَفَرِّغْ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجَلِّسْ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًا، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتَقْعُدَ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يَكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: لَنْ تُفَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُوْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ)

اجعل من وقتك سهماً تنفرغ فيه لهم وتجلس معهم مجلساً عاماً يجلس فيه الشريف والوضيع والعالم والجاهل لتستمع لهم وتتواضع لهم - وذكر عليه السلام التواضع لأنه يرفع الإنسان وليذكره بوجود الله فوقه فيتذكر ضعف نفسه-، ثم أمره أن يبعد عنهم الجنود والحرس (الذي يمنع من وصول المكروهات للوالي) والشرطة لعدم تعرضهم للضعفاء وأصحاب الحاجات، حتى يقوم من يريد أن يتكلم منهم غير خائف ولا وجل ولا متردد (ولا مزعج ولا مقلق كما يقول الشارح المعتزلي)، فإن رسول الله ص قال (في غير موطن) أي في غير موضع وقيل أي في مواطن عديدة، أنه لن تطهر أمة من الأرجاس والردائل لا يأخذ الضعيف فيها حقه من القوي غير خائف ولا متردد.

٣- (ثُمَّ احْتَمَلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ وَنَحَّ عَنْهُمْ الضِّيقَ وَالْأَنْفَةَ يَبْسُطُ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ وَأَعْطِيَ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئًا وَأَمْنَعٌ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْدَارٍ) الخرق: العنف وهو ضد اللطف الشارح المعتزلي: الخرق: الجهل، والعي إذا كان بكسر العين فهو العجز عن الكلام في بيان المراد، وإن كان بفتح العين فهو عدم القدرة على النطق في الاهتداء إلى المراد.

السيد محمد تقي النقوي طيب الله ثراه: العي بكسر العين الذين يصيبهم الخوف أمامك، وإن كان بفتح العين الذين لديهم مشكلة في أصل الخلقة.

ونحّ أي: بعد والضيق سوء الخلق والأنف الاستكبار، أي عاملهم بالأخلاق وعدم التكبر لأن الرعية تنفر من الوالي المتكبر، وكن واسع الصدر معهم، يبسط أي: يوسع الله عليك بسبب العمل الذي تقوم به أطراف رحمته ويشملك في جملة المطيعين له.

وأعط ما أعطيت هنيئاً أي لا تمنّ عليهم بعطيتك، وإذا لم يكن لديك ما تقدمه فامنح بلطف.

يروى: ورد أعرابي إلى المدينة فسأل: من أكرم الناس هنا؟ قيل له: الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان الإمام الحسين ع يصلي في المسجد، وقف الأعرابي فقال:

لَمْ يَجِبِ الْيَوْمَ مَنْ رَجَاكَ وَمَنْ  
أَنْتَ جَوَادٌ وَأَنْتَ مُعْتَمَدٌ  
حَرَكَ مِنْ خَلْفِ بَابِكَ الْحَلَقَةَ  
أَبُوكَ كَانَ قَاتِلَ الْفَسَقَةِ  
كَانَتْ عَلَيْنَا الْجَحِيمُ مُنْطَبِقَةَ

فرغ عليه السلام من صلاته وقال: يا قنبر هل بقي من مال الحجاز شيء؟ قال نعم أربعة آلاف دينار، قال: هاتها فقد جاء من هو أحق بها منا، ثم نزع برديه ولف الدنانير فيها وأخرج يده من شق الباب حياءً من الأعرابي وأنشأ:

خُذْهَا فَإِنِّي إِلَيْكَ مُعْتَذِرٌ  
لَوْ كَانَ فِي سِيرِنَا الْعِدَاةَ عَصَى  
وَإِعْلَمَ بِأَنِّي عَلَيْكَ ذُو شَفَقَةٍ  
أُمْسَتْ سَمَانًا عَلَيْكَ مُنْدَفِقَةَ  
لَكِنَّ رَبِّبَ الزَّمَانِ ذُو غَيْرِ  
وَالْكَفِّ مَنِّي قَلِيلَةُ النَّفَقَةِ

فأخذها الأعرابي وبكى فقال له الإمام: لعلك استقلت ما أعطيناك؟ قال: لا ولكن كيف يأكل التراب جودك.

**(مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَالْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً) لا حيلة أي لا علاج لهم في إدارة أمورهم وجلب المال، والمسكين هو الذي أسكنه الفقر عن الحركة وهو الذي لا يملك قوت يومه أما الفقير من لا يملك قوت سنته، والمحتاجين أصحاب الحاجة من الفقراء، البؤس: من البؤس وهو شدة الفقر، والزمنى: أصحاب العاهات والأمراض الذين يمنعهم المرض من الاكتساب، والقانع: السائل الذي يسأل بتخضع وتذلل، والمعتر: المتعرض للعطاء بلا سؤال**

**(وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ) أي أمرك الله بحفظ حقه فيهم في إدارة الشؤون وتفقد أحوالهم وقضاء حوائجهم.**

**(وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ وَقِسْماً مِنْ عِلَاقِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى) بيت المال، الخراج من الخمس والزكاة والصدقات والجزية وما أشبه ذلك والغلات جمع غلة: الحنطة والشعير والزبيب والتمر، فلهم سهم من هذه الغنائم التي يغتنمها المسلمون باسم الإسلام في كل سائر البلاد فللبعيد مثل ما أخذ القريب.**

**(وَكُلُّ قَدٍ اسْتُرِعِيَ حَقَّهُ فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ نَظْرٌ فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ النَّافَةَ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهْمِ) أي طلب الله تعالى منك أن ترعى حقهم فلا تشغل عنهم لطغيان الملك فيك، فإنك لا تعذر إن ضيعت حاجة قليلة بحجة إكمالك لحاجة أكبر فالحاكم مسؤول عن القليل والكثير من الأشياء وإحكامها جميعاً فاللازم مراعاة الأمرين.**

**(فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ) لا تصرف اهتمامك عنهم وملاحظة شؤون الفقراء ولا تصعر وهو من الصعر أي ميل العنق تكبراً، فلا تمل خدك عنهم كما يفعل المتكبرون.**